

ساحة رأي

باكستان... أوّلاً

إسلام اباد - **اسعد ابو خليل***

إذا كان أنور عبد الملك قد وصف مصر في السّنينيات بأنّها «مجتمع عسكري» فيمكن القول إنّ باكستان هي مجتمع عسكري جداً. الوافد إلى باكستان يلحظ الطبيعة العسكرية للبلد في الطائرة قبل أن تطا قدماك أرض البلاد، إذ إن التحذير من التصوير من الجو يصدر في المذيع بمجرد أن تبدأ الطائرة بالهبوط من العلو الشاهق نحو مطار إسلام آباد. والقوات العسكرية الباكستانية منتشرة في كل أنحاء العاصمة: تحت الأشجار، وعلى المارق، وفي الأحياء، وعلى مدخل كل الفنادق. والإجراءات الأمنية حول المرافق العامة في إسلام اباد تفوق الإجراءات الأمنية في بيروت. وتلحظ أن المعدات العسكرية الباكستانية والسيارات والناقلات تبدو بدائية مقارنة مع ما هو في دول مجاورة. يشرحون لك ان الموازنة العسكرية الضخمة ترصد في معظمها للأسلحة الباهظة الأثمان من صواريخ وغواصات لتسهيل تحميل السلاح النووي إذا ما دعت الحاجة.

وعلى الرغم من الصورة العسكرية السائدة للحكم، فإنّ الحاكم العسكري في إسلام آباد، يستعين ببعض المدنيين لنشر صورة ملطفة عن حكمه. ورئيس وزراء باكستان، شوكت عزيز، لم يكن معروفاً هنا، ولا يعرف الباكستانيون كيف هبط عليهم هذا المصري، وكيف استحدث له منصب نيابي في انتخابات فرعية سافرة في تزويرها: كان مديراً في مصرف «سيتي بانك» في نيويورك قبل أن يهبط بالاراشوت على البلاد - هل هي الصدفة ان مصرفياً آخر يشغل منصب رئيس وزراء لبنان، بينما كان سلام فياض مديراً في البنك الدولي؟ طبعاً، الثالثة معروفون بحبّهم للفقر، بالإضافة الى تربيت جورج بوش شخصيا على كتفهم.

تعاملت باكستان في شهر تموز الحار مع مشكلة «لال مسجد» (المسجد الأحمر) في الوقت الذي كان فيه لبنان يتعامل مع مشكلة نهر الباراد. كنا بحاجة إلى خير سطو على مصرف في إسلام اباد لتكتمل الصورة، وأبدت الحكومة الأميركية أيّما حماسة في تأييدها للحكومتين، اللبانية والباكستانية (حصلت باكستان على أكثر من 10 مليارات دولار من المساعدات العسكرية الأميركية منذ 11 أيلول)، وأمدت الجيش اللبناني والباكستاني بما يحتاج إليه من صواريخ وقذائف. لكن التوقيت (أي توقيت الجسر الجوي الأميركي) كان صدفة، كما شرح لنا واقنعنا وزير الدفاع اللبناني (الذي هدد في عدوان تموز بتعليق اسرائيل درسا لن تنساه إذا ما دخلت القوات الإسرائيلية أرض لبنان، ثم اختلف عن الأ نظار تاركاً للمقاومة مهمة الدفاع عن أرض الوطن). والخطاب الباكستاني عن مجموعة الجامع الأحمر تماثلت مع الخطاب اللبناني: «إرهابيون، يا أميركا. عليكم دعماً». كنا ننتظر إهراقاً لدموع شوكت عزيز.

لكن حكاية ظاهرة المدارس الدينية في باكستان حكاية تتقاطع مع قصة الحركات الدينية المتطرفة في العالم العربي. القصة باتت معروفة: الحكم السعودي والحكومات الأميركية المتعاقبة تعاونا على دعم مجموعات أصولية متطرفة وتمويلها وتسليحها طوال الحرب الباردة، وذلك لتقويض نفوذ اليسار والقومية العربية. والحكم السعودي كان شريكاً في حكم ضياء الحق الذي فتح أبواب باكستان أمام المدارس الدينية التي نشرت أفكاراً وهابية كانت بعيدة كل البعد عن التراث الإسلامي في شبه القارة الهندية. ومؤسس باكستان الحديث، محمد علي جناح، كان واضحاً في شرحه لوضع الدين في دولة باكستان عندما توقع أن يأتي يوم لا يبقى فيه الهندوسيون هندوسيين والمسلمون مسلمين «وذلك ليس في المعنى الديني لأن هذا الأمر يبقى الإيمان الشخصي للفرد، بل بالمعنى السياسي كمواطنين في دولة واحدة». لكن الاجتياح السوفياتي لأفغانستان وبدء

المشروع الأميركي - السعودي غيّر من كل المعادلات وتزامن مع الإلهام الديني لضياء الحق («نوبة الدين» كما سماها جمال عبد الناصر معلقاً على سياسة الملك حسين الإسلامية في الستينيات). وتستطيع أن تتبين التأثير السعودي في إسلام آباد: من أسماء بعض الشوارع، إلى مسجد فيصل ذي التصميم المغلق خلافاً لتصميم المساجد التقليدي الربح، الذي يفتح نحو السماء، في بعدين في المكان (يشكو الباكستانيون من غياب المساعدات السعودية في السنوات الماضية).

الجنرال بوشرف

يعتبر الجنرال مشرف جزءاً من سياسة بوش في المنطقة. وهو ذكر في مذكراته ان خياراته كانت محدودة، إذ إن نائب وزير الخارجية الأميركي، ريتشارد أرميتاج، نقل إليه بعد 11 أيلول تهديداً مباشراً بتدمير بلاده إذا لم تنصع باكستان للشروط الأميركية كاملة. والجنرال (الذي كان صديقاً لرفيق الحريري الذي أهداه سيارة مصفحة ثقفه من صبية العين، وصداقة الحريري مع مشرف لا تختلف عن صداقة السنيورة مع أبو مازن - حلفاء بوش يجب بعضهم بعضاً كما يجنون الحياة) حصل بالمقابل على تغطية كاملة لقمعه وخرقه حقوق الإنسان، وهذا جزء أساسي من السياسة الخارجية الأميركية منذ الحرب العالمية الثانية، إذ إن الحكومة الأميركية لا تهتم بحقوق الإنسان في بلد معين إلا إذا عارضت حكومة هذا البلد السياسة الأميركية، وهذا يفسر لماذا تبدي الولايات المتحدة قلقاً من مجرد إهانة معارض في هافانا، في الوقت الذي تتجاهل فيه قطع الرؤوس ورجم العشاق في السعودية.

والجنرال مشرف كان جزءاً من المؤسسة العسكرية - الاستخبارية التي دعمت الإسلام «لجهاذ» في الحرب ضد الجيش السوفياتي في أفغانستان (ودعمت تلك المؤسسة حركة طالبان منذ ولادتها)، مثلما هو يحارب اليوم تلك التخطيمات التي شارك في دعمها في الماضي. وقد يذكر هذا بأسلوب ال حريري الكرام في لبنان. لكن العائلة معذورة فهي تسعى وراء «الحقيقة»، وهي كلمة ملطفة للثأر - الهدف الحقيقي للعائلة.

وكما في لبنان والأردن، كذلك في باكستان. فالجنرال مشرف، أو «بوشرف» كما يسمونه هنا في باكستان، يرفع شعار «باكستان أولاً». ويُراد من الشعار فصل الهم الشعبي الباكستاني عن هموم عموم المسلمين والمسلمات، كما يُراد من رفع شعار «لبنان أولاً» أو «الأردن أولاً» فصل عرى العلاقة بين أهل البلدين وبين عامة العرب والمسلمين (والمسلمات). وهذه الشعارات «القطرية» - بلغة القومية العربية - المتزمتة تبدو منتشرة في الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة حيث تسيطر عقيدة بوش، وحيث تسعى شركة «ساتشي وساتشي» إلى مساندة الإدارة الأميركية وآل الحريري في سياساتهم وحرورهم وفي فتنهم الطائفية والمذهبية. فهل هناك من علاقة بين هذه الشعارات، أم ذلك من باب الصدفة؟ إنها الصدفة طبعاً، إلا إذا كنتم من ادعياء نظرية المؤامرة. لكن منذ 14 آذار علمونا ان ليس هناك من مؤامرات في العالم باستثناء مؤامرة النظام السوري. أما ما عدا ذلك فيدخل في حيز عطف المجتمع الدولي، وهو شديد العدل والإنصاف والحنو.

تعاطف مع القضايا العربية

لكن جو الثقافة السياسية والشعبية في باكستان صعب الاختراق، وهو متشعب يعقده دينية (متأثرة بالوهابية في تزمّتها لكنها معارضة للحكومة السعودية بسبب سياستها الخارجية وسماء عائلتها الحاكمة). والتعاطف مع «القاعدة» شامل في البلاد، وذلك من منطلق العداء لكل ما يتعلق بالسياسة الأميركية. والشعب الباكستاني شديد التعاطف مع الشعب الفلسطيني - لكن من منطلق ديني حتى لا نقول طائفي، ويؤكد المثقفون هنا أن باكستان لن تقيم علاقات مع إسرائيل،

حتى لو فعلت ذلك كل الدول العربية. وكان الكونغرس الأميركي قد ضغط على مشرف كي يطع مع إسرائيل، إلا ان موقف الرأي العام، حتى الليبرالي منه، كان رادعاً. ويسالك طلاب الجامعات في باكستان عن محمد دحلان وعن هؤلاء العرب الذين يتعاملون مع إسرائيل. تنمّ أسئلتهم عن احتقار شديد لأبو مازن. لكن فهمهم الديني للمسألة الفلسطينية مزعج للقادم من العالم العربي. وقد فتح طالب فاه مندهشاً، عندما حدّثه عن تاريخ الوجود والنضال المسيحيّين في فلسطين.

ولا يبدو ان الحملة الأميركية - السعودية - الحربية لإذكاء نار الفتنة بين السنة والشيعنة قد فعلت فعلها، إذ إن الجمهور الباكستاني يتعاطف بقوة مع حزب الله، ويسال باهتمام عن حسن نصر الله (ناسف إذا كان هذا سيزعج وليد جنبلاط الذي يعاني هاجس شعبية نصر الله العربية والإسلامية). وفي محاضرة للكاتب في الجامعة الإسلامية العالمية في اسلام آباد، اعترض المحقق الثقافي الإيراني على قولي (رداً على سؤال في هذا الخصوص من أحد الطلبة) إنه ليس هناك من مثال إسلامي أو عربي يُحتذى للحكم (باستثناء تلك التجربة الغذة في الحكم التي مثلها أحمد ففتت - ما غيره - في وزارة

”

يبدو الحكم القمعي في باكستان، على غرار الحكم القمعي في العالم العربي، متحالفاً مع الليبرالية الباكستانية، إذ إن الليبراليين يزايدون على بوش في رغبتهم في القضاء على التيار الديني

”

الشباب والرياضة)، ورد بالقول ان الجمهورية الإسلامية في ايران هي هذا المثال، حسب قوله. فرد الجمهور في القاعة على كلامه بالتصفيق، وخصوصاً عندما قارن بين سياسة بلاده وبين سياسة الدول العربية «المعتدلة» نحو قضية فلسطين. هذا لا ينفي وجود بذور طائفية في البلاد، وينعكس هذا التزمّت الديني في قمع الأقلية الأحمدية.

وتسالك طالبة في الجامعة، وأمام حشد طالبي، عن سبب «العنصرية العربية ضدّ الشعب الباكستاني»؟ ماذا تقول عن هذا الموضوع؟ هل تكذب وتنفّي وتدعي أن المجتمع العربي يتعامل مع الناس، كل الناس، على أساس انهم سواسية «كأسنان المشط»؟ كيف يمكنك ان تحفي شبه العبودية السارية في دول الخليج، حيث يحتل الباكستانيون والهنود أسفل سلم التراتبية الهرمية القائمة على أساس الطبقة والعرق والجنسية؟ ويشكو أهل باكستان من عنصرية عربية تصيهم بمجرد هبوطهم في المطار. في مطار دبي تُعزل الطائرات الوافدة من باكستان، وكان ركابها مصابون بالجذام. ومدينة دبي، التي لا تلقى إلا التعظيم في الصحافة العربية وحتى الغربية، ما هي إلا نموذج لمدينة تعتمد في بنائها وإدارتها وتسييرها على استغلال العمال السوتوردين، كما أعيد إعمار مدينة بيروت بسواعد العمال السوريين الفقراء (لا بسواعد الأثرياء). ولاستغلال العمال الباكستانيين والهنود في منطقة الخليج (حتى لا نتحدث عن استغلال الخادmates الآسيويات في بلد الأرن، إذ كان حرباً بمن كان يتحدث عن تحرير لبنان أن يحرق الخادmates في منازلهم ومنازلهن) بعد طبعي وبعد عنصري

يتعلّق بعنصرية مبنية على أساس الجنسية والبشرة.

تحالف القمع والليبرالية

يبدو الحكم القمعي في باكستان، على غرار الحكم القمعي في العالم العربي، متحالفاً مع الليبرالية الباكستانية، إذ إن الليبراليين يزايدون على بوش في رغبتهم في القضاء على التيار الديني المعتدل والمنترف. وقد أصدرت التيارات المنضوية في إطار المجتمع المدني بياناً قاسياً طالبت فيه الحكومة بعدم الرحمة في التعامل مع تيمزّد الجامع الأحمر (وأيد بعض المجتمع المدني في لبنان دك مخيم نهر البارد). وتسود معادلة تحالف الليبرالية مع الحكم القمعي في أكثر من بلد، وهي تشير الى انقسام طبقي بين الخلفية الاجتماعية للمعنيين بجمعيات المجتمع المدني وبين الخلفية الاجتماعية للذين ينضوون إلى منظمات يعتبرها ياسر عبد ربه متخلفة - وهو كما هو معروف خبير في شؤون الحضارة والرقي. ليس هو من وقع على اتفاقية جنيف التي تخلت حضارياً عن حق العودة وكزست، حضارياً أيضاً، الأستيطان الصهيوني في الضفة الغربية؟

لكن يبدو ان الأنظمة القمعية وحلفاءها من رواد المجتمع المدني في واد واكثرية الشعب في واد آخر. وقدرة الجنرال مشرف على الاستمرار في الحكم محفوفة بمخاطر لا تستطيع شحنات الأسلحة الأميركية أن تتجاوزها، كما ان شحنات الأسلحة الأميركية لم تحل أزمة السنيورة المتفاقمة. والرأي العام الباكستاني ينزع نحو التطرف ونحو كل من يرفع شعارات معادية بالمطلق لأميركا. وتبدو تطلعات الرأي العام الباكستاني واضحة في التأييد العارم للعمليات الانتحارية. وفي محاضرة في مؤسسة الدراسات السياسية التابعة للجماعة الإسلامية (وهي غير الجماعة الإسلامية - فرع الحريري في لبنان)، اعترض الجمهور (المعتدل نسبياً بمقياس الحركات الإسلامية في باكستان) على نقد العمليات الانتحارية. فقد أصبحت تمثل بالنسبة إليهم رداً استفزازياً مناسباً للحروب الأميركية. وحين تشرح لهم ان مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في لبنان لم تلجأ إلا ناماً للعمليات الانتحارية، لا يبدون مقتنعين (أو مقتنعات). وباكستان، كحصر، تبدو متهيئةً لليوم الذي سترث فيه الحركات الإسلامية السلطة، وهي لا تبدو مستعجلة، مثل حالة الإخوان في مصر.

أمّا الجنرال مشرف، فيبتاع الوقت، كما يقولون. يحاول ان يبقى في السلطة من دون أن يغضب ادارة بوش. وهو يعلم ان الهدف الأميركي يكمن في تنفيذ ما يُطلب منه، وان تنفيذه للمطالب يزيد من تأييد الإدارة الأميركية لخروقات حقوق الإنسان في باكستان. أكثر من ذلك، فإن الإدارة الأميركية تطالب مشرف بمزيد من القمع.لكن تنامي الغضب الشعبي على حكومة باكستان، بالإضافة الى الفساد المستشري، يهدد قدرة النظام على الاستمرار في موالاة الإدارة الأميركية التي تطالب بمزيد من التنازلات (لمصلحتها هي لا لمصلحة الشعب الباكستاني)، وهي تقوم بالاتصال بينازير بوتو، وذلك للضغط على نظام مشرف. وتحاول بوتو اليوم الظهور بمظهر الليبرالية المفتحة مع أن جهاز الاستخبارات القوي، ما يسمى بـ«استخبارات ما بين الأجهزة»، أي إيس.اي، تبني حركة الطالبان أثناء حكم بوتو التي لم تردهم الاتجاهات المتطرفة لجهاز الاستخبارات (وهو غير جهاز المعلومات في لبنان). لكن لمّ العجب؟ حتى الحكم السعودي وأبواقه اللبنانية في الإعلام العربي يدعون الليبرالية والانفتاح اليوم، وكل ذلك من أجل إسعاد بوش. لكن لم يبق من سنوات بوش الجعاف إلا سنة أو أكثر قليل، أو حتى أقل بكثير لأن السنة الأخيرة من حكم الولاية الثانية تحسب ضد الرئيس لا له.

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا موقعه على الإنترنت: (angryarab.blogspot.com)

”

الأخيرة لتصل إلى خوف أميركي كبير من وقوع السلاح النووي الباكستاني في أيدي قوى «غير منضبطة» أو «معادية» في حال سقوطه، فإن الأميركيان ما زالوا يتجهون بقوة إلى ترسيخ الاتجاه الذي بدأ عندهم في مرحلة «ما بعد موسكو» لتقوية الهند كحاجز أمام الصين وإلى استمرار في تهميش الدور الإقليمي الباكستاني.
يلفت النظر، هنا، بأن هذا فقدان الباكستاني للدور عند «القطب الواحد» للعالم يترافق مع بداية الانفجار والاضطراب الداخليين، وخاصة عندما يكون هناك قوى احتماعية باكستانية قوية، عند الإسلاميين والقبائل وعند قومية البلوش، ترى انعدام المصلحة في تجند باكستان في الحرب ضد القاعدة وطالبان، وتقف في موقف مضاد لحليف الجنرال وداعمه الرئيسي، أي واشنطن.

نرى هنا كيف أن الخلاف في الرؤى والأجندات بين القوى الباكستانية، في السلطة والمعارضة، تجاه اللوحة الإقليمية، وكذلك في رؤيتهما للعامل الأميركي، يؤدي إلى اضطراب واحتراب كبيرين في الداخل الباكستاني، ما أدى إلى تفجير الكثير من الألغام الداخلية التي كانت موجودة في البنية الاجتماعية الباكستانية منذ إنشاء تلك الدولة في عام 1947، والتي لم تنفجر، أثناء وبعد قطع انفصال باكستان الشرقية (بنغلادش)، بسبب الحاضنة الدولية للدور الإقليمي لإسلام آباد في زمن الخناثية القطبية، والتي يبدو أنها لم تعد موجودة الآن، إلا أنها - واشنطن - ما زالت مترددة أمام مصير الكيان الباكستاني وبقائه موحداً.

إلى أين تتجه باكستان؟

* كاتب سوري

يُقال، حسب وثائق أميركية كشفت أخيراً، بأن واشنطن هددت إسلام آباد، في الأسابيع التالية لـ (11أيلول) بضرب منشآتها النووية إن لم تدعم الغزو الأميركي لأفغانستان. ويُقال بأن حسابات الجنرال مشرف قد رجحت دعم واشنطن في ذلك خوفاً من سقوطه، ولو أدى ذلك إلى سقوط الحكومة الموالية للباكستانيين ونشوء حكومة معادية هناك، إضافة إلى استعداد الجنرال بذلك لقسم كبير من الرأي

”

الخلاف في الرؤى بين القوى الباكستانية تجاه اللوحة الإقليمية والعامل الأميركي، يؤدي إلى اضطراب واحتراب كبيرين في الداخل الباكستاني

”

العام الباكستاني المعادي للأميركان لأسباب شتى، منها العقائدي ومنها الروابط القبلية أو القومية مع الناشتون في أفغانستان الذين يشكلون الأرضية الاجتماعية لطالبان. يلاحظ، في هذا الإطار، أنه على الرغم من حفاظ واشنطن على حكم الجنرال الباكستاني وتمسكها به لحسابات ربما تتجاوز ما قدمه ضد (القاعدة) و(طالبان) في السنوات

الأخبار

تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»

رئيس مجلس الإدارة

المدير العام **هنا بجاني**

المدير المالي **علي بدير**

مدير المبيعات **جوزف دويهي**

رئاسة

رياضة علي صفا

فضاء وهدى **عمر نشابة**

اقتصاد **محمد زويبة**

مجلس التحرير

محلّيات **ابراهيم الامين**

ثقافة و ناس **بيار ابي صعب**

عربيات ودوليات **ايلى سلهموب**

مستشار

مجلس التحرير

انسى الحاج

رئيس التحرير جوزف سماحة

سكرتير التحرير

وفيف قانصوه خالد صاغية

المدير الفني **اميه منعم**

ص.ب 113 / 5963
www.al-akhhbar.com

مكثله الشحات 06 / 427713

مكثله الصام: 08 / 540200

مكثله الجنوب: 07 / 767010

التوزيع **شركة الواصل:**

15 – 666314 [01] – 828381 [03]